الأندية العربية فى العراق

للدكتور زكى مبارك

تمهيد — حفلات القبول — السهرات الصحفية بين القاهرة وبغداد — نادى المعارف — نادى المثنى — نادى الشبان المسلمين — نادى الهداية الاسلامية — النادى العسكرى — نادى البصرة — نادى الجزيرة — الرابطة العلمية والأدبية بالنجف — نحن أهل العراق .

تمهيد

حين زرت بغداد للمرة الثانية سألت معالى الدكتور سامى شوكت عن منزل أخيه الدكتور صائب شوكت فقال : « إنه يقيم فى شارع المرحوم أبى نواس » وقد فخم كلمة « المرحوم » ليبرز معنى الدعابة فى تعبيره الطريف

والمرحوم أبو نواس يحدثنا فى خمرياته أنه كان يجد الحانات مغلقة الأبواب ، وأنه كان ينادى أهلها من وراء الحجرات ليسعفوه بالشراب وأدوات الشراب ، وللشراب أدوات مختلفات الألوان

وقد سمعت أن حانات بغداد لا تزال على عهدها القديم : فهى تغلق بعد مضى ساعات قلائل من صدر الليل ، ويحوج قاصديها إلى قرع الأبواب ، برفق أو بعنف ، وفقاً لظرف الزمان وظرف المكان ، فلكل محلة فى بغداد ظروف

ماذا أزيد أن أقول ؟

أنا أريد القول بأن تقاليد العراقيين فى القديم والحديث توجب أن تكون سهراتهم فى البيوت ، على نحو ما كانت الحال فى مصر إلى عهد قريب ، ويشهد بقوة تلك التقاليد إغلاق الحانات فى صدر الليل ، وسهرات البيوت فى العراق القديم

وجدت خلفاً سعيداً هو سهرات الأندية فى العراق الحديث .

فكيف الحال هنالك ؟ وهل بقى للمنازل حظ بجانب الأندية الأدبية ؟

حفلات القبول

فى العراق ما يسمى « يوم القبول » وهو ما نسميه فى مصر « يوم الاستقبال » وهو يوم من أيام الأسبوع ينتظر فيه الرجل زائريه فى الصباح أو فى المساء : فمالى السيد محمود صبحى الدفترى يستقبل زائريه فى صباح الجمعة ، وهو صباحية جميلة يتلاقى فيها أعيان أهل الأدب فى بغداد ، ولها تأثير شديد فى توجيه الحياة الأدبية والاجتماعية . ومعالى الشيخ محمد رضا الشبيبى يستقبل زائريه فى مساء الخميس ، وقد يتلطف باستقبال زائريه فى كل مساء ، لأنه يقيم بضاحية نائية تسمى « الزوية » وله على شط دجلة نادٍ جميل يشرح الصدور ، ويؤنس العيون ، وفى ذلك النادى تثار مشكلات متصلة بالعلوم والآداب والفنون ، وتسمع فيه أغاريد « أبى كلثوم الوفدى » وهو الشاعر المفتون بأغانى أم كلثوم وأخبار الوفد المصرى ، هو السيد باقر الشبيبى الذى يحب مصر أكثر مما يحبها المصريون أعزه الله وأدام عليه نعمة الوفاء

وخلاصة القول أن لأكثر أهل العراق أندية تقام فى البيوت أيام القبول وهى أندية توجه الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية وتسير بالمجتمع العراقى إلى غايات فيها القريب والبعيد ، وقد تكون لها صلة بما يظهر فى الجو العراقى من شئون وشجون ، فالرجال هنالك لا يكفون عن مراقبة الاتجاهات المحلية إلا فى أندر الأحايين

السهرات الصحفية

وبجانب حفلات القبول تقام سهرات الصحفيين فى دور الجرائد والمجلات ، وهى سهرات فاتنة إلى أبعد الحدود . وهل أنسى سهراتى فى إدارة جريدة (العراق) وجريدة (البلاد) ؟ وهل أنسى أن إخوانى فى جريدة (الهدف) كانوا يمدون روحى بأكواب الصفاء ؟ وهل أنسى أن كؤوس الشاى فى جريدة (بغداد) كانت أطيب من كؤوس الصهباء ؟

الصحفيون فى العراق يذكرون بإخوانهم فى مصر من حيث الجاذبية وخفة الروح ، وأنديتهم فى جرائدهم تذكر بأنديتنا فى جرائدنا ، فما ينسى أحد كيف كان النادى الأدبى فى جريدة

فى عادات نسائنا ، هو أشد ما يخشى أثره فى أمة كأمتنا ما زالت فى طورها الحاضر تحبو فى السبيل الموصلة لعظمة الأمم

فإذا كان قد أصاب دولة الرومان ما أصابها من الضعف عند التوسع فى الاختلاط المفسد بين الرجال والنساء ، وعند التوسع فى إطلاق حريتهن ، فإن مثل هذا الاختلاط المنحرف كان له أكبر الأثر فى إضعاف بعض الأمم الغربية المعروفة فى العصر الحديث حين خبت ثقافتها ، وهزل إنتاجها الأدبى المعاصر ، وانحلت قوة المقاومة منها عند الجهاد والكفاح الحيوى

« البقية فى العدد القادم »

منصور فهمى

(الجهاد) وكيف يكون النادى الأدبى فى جريدة (الأهرام) وجريدة (المصرى) وجريدة (السياسة) وإن امتزج نادى (السياسة) بنادى الأحرار الدستوريين . وهل كانت (ندوة الدستور) إلا ندوة أدبية قليلة الأمثال ؟

إن الأنس الذى يجده من يسمُر بدار (الرسالة) أو دار (الأهرام) له نظائر فتانة فى دار (العراق) أو دار (البلاد)

وكما نجد فى سهرات الصحافة المصرية أقطاب الرجال فى أكثر الميادين ، نجد فى سهرات الصحافة العراقية أقطاب الرجال فى الأدب والسياسة والاجتماع

وإذا صح للمنفلوطى أن يسجل أن النادى الأدبى فى جريدة (المؤيد) خلق أكابر الباحثين فإنه يصح لنا أن نسجل أن الأندية الصحفية فى مصر والشام والعراق سيكون لها فضل عظيم فى تكوين الجيل الجديد[1]

نادى المعارف

وأنتقل إلى الحديث عن الأندية الأدبية فأقول :

أول ناد أدبى عرفته فى بغداد هو نادى المعارف ، والمعتمد لهذا النادى هو السيد رشيد العبيدى[2] ، وهو أديب عراقى تخرج فى مصر بمدرسة دار العلوم ، وهو زميل السيد حسين بستانة ، إليه وإلى من تخرجوا فى دار العلوم أقدم أطيب التحيات ؛ فهم سفراء مصر فى العراق[3]

ونادى المعارف هو نادى المعلمين ، وفيه شربت أول كأس من ماء دجلة ، وفيه كنت ألقى من يسألون عنى فى مساء كل خميس

فى نادى المعارف يلتقى المعلمون كل يوم ، فيقرأون الجرائد والمجلات ، ويتجاذبون أطراف الأحاديث ، ويستمدون لاستقبال من يفد على بغداد من رجال العلوم والآداب والفنون

فإن قلتَ إن « نادى المعارف » فى بغداد له تأثير فى توجيه الحياة الأدبية فأنت صادق كل الصدق ، لأنه موصول الأواصر بأكثر البلاد العربية ، ولأن رجاله من أكابر المدرسين ، والمدرسون هم المصلحون الأوائل فى جميع الشعوب

نادى المثنى

ونادى المثنى هو نادى المروءة ، ومعتمده هو الدكتور صائب شوكت ، ولهذا النادى حفلات أسبوعية لاستماع المحاضرات ومجاذبة الأحاديث ، ومن أعضائه السيد محمد مهدى كبة والدكتور عبد المجيد القصاب والسيد عبد المجيد محمود ، وقد تفضل أعضاء هذا النادى فمنحونى « عضوية الشرف » ، والذى وصلنى بهم هو تلميذى القديم السيد جلال الأورفه لى ، ذكره الله بكل صالحة ، وأكرمنى بدوام نعمته عليه ، فهذا المحامى النابغ كان السبب فى أن أقضى سهرات جميلة بقصر صاحب السمو الأمير عبد الإله قبل أن يصير وصياً على عرش العراق

نادى الشبان المسلمين

هو نادٍ يقوم بالكرخ فى دار جمعية الشبان المسلمين ، وهو نادٍ خفيف الروح ، وتقام به سهرات مصقولة الحواشى ، وفيه سمعت محاضرة جيدة للأستاذ محمد بهجة الأثرى ، وهو شاعر مجيد يعرفه قراء الرسالة ، وله صداقات متينة مع كثير من الأدباء الكبار فى مختلف البلاد العربية . وكانت له مطارحة أدبية مع الأستاذ الزيات سجلها فى كتيب لطيف . وقد عرفته أول مرة حين دعانى سعادة الأستاذ عبد القادر الكيلانى للتسليم عليه فى دار المفوضية العراقية بالقاهرة ، والسيد عبد القادر هو اليوم عراقى له دار مصرية فى بغداد ، وهو النموذج الحق للذاتية العربية والإسلامية ، أدام الله عليه نعمة التوفيق

نادى الهداية الإسلامية

لم أزر هذا النادى ، وإنما رأيت آثاره الجميلة فى إحياء المواسم الإسلامية ، وله مجلة تصدر باسمه يديرها الأستاذ الطائى ، ومن أعاظم رجاله الأستاذ طه الراوى ، وهو رجل عظيم لا أملّ ولن أملّ من الثناء عليه ، بعد أن رأيت دموعه تنحدر يوم أطلق الرصاص على بعض الأساتذة المصريين فى بغداد

وطه الراوى أستاذ مخضرم تزود من الثقافة الدينية والثقافة المدنية ، وهو من أقدر الناس على ضبط النفس ، فما تسمع منه كلمة تشوك خصومه فى محضر أو مغيب . ويوم تفكر مصر فى مبادلة الأساتذة سيكون من واجبى أن أقترح استقدامه للتدريس فى كلية اللغة العربية أو دار العلوم أو كلية الآداب .

---

(١) الشام فى جميع ما يخطه قلمى هى البلاد المكونة من فلسطين وسورية ولبنان (٢) المعتمد هو الرئيس فى تعبير أهل العراق

(٣) قد يجهل المصريون أنفسهم أن وزارة المعارف المصرية تؤدى خدمة جليلة لوصل الأمم العربية بعضها ببعض عن طريق التعليم والتثقيف ، فهى تقبل جماعات من الطلبة الشرقيين بالقسم الداخلى فى مدرسة دار العلوم بدون مصروفات

فمتى تفكر مصر فى هذا النظام ليتعارف المصريون والعراقيون بدون التعرض للتكاليف المالية ؟

والمهم أن أسجل أن هذه الجمعية لها مجلة تنشر الثقافة الدينية والأدبية كما لجمعية الشبان المسلمين مجلة تسمى « العالم الإسلامى » ولهاتين المجلتين تأثير فى تكوين الأذواق وتهذيب النفوس ، وإن كنت لا أدرى ما صارتا إليه بعد أن حرمت الاستصباح بظلام الليل فى بغداد

النادى العسكرى

هو نادى الضباط، وهو ناد له فى ذهن الأستاذ الزيات تاريخ . فقد قال فيه كلمة لن ينساها البغداديون ، فما هى تلك الكلمة ؟ أظنه قال إنه كان يسمع فيه صوت السكون ، فما استطعت الاتصال به عند كتابة هذا الحديث فأعرف بالضبط ماذا قال[٤]، لأنى شرعت فى كتابة هذا الحديث وأنا بغبار السفر بعد الرجوع من بغداد ، بل أسوان[٥]

وفى النادى العسكرى سمعت نكتة عراقية : سمعنى إليه رفيقان : هما السيد صادق الوكيل ، والسيد جواد الشهرستانى ، وأراد السيد جواد أن يدلنى على الطريق ، فقال السيد صادق : لن يحتاج الدكتور مبارك إلى دليل عند الدخول ، ولكن سيحتاج إلى دليل عند الخروج !

فهل كان يعرف هذا الشقى أن نشوة الأسمار والأحاديث ستحوجنى بعد السهرة إلى السؤال عن الطريق ؟

فى النادى العسكرى يسهر جماعات من ضباط الجيش العراق وهم رجال على جانب من العلم والأدب والوطنية ، وفيهم السيد مجيد الهاشمى ، وهو رجل متنوع المواهب ، وله دراية بكثير من فنون المعارف والآداب ، وهو من صلات الوصل بين مصر والعراق ، لأنه موصول القلب والعقل بأكثر ما يصدر عن وادى النيل

نادى البصرة

هو مجتمع أهل الفضل بوطن « الجاحظ » و « إخوان الصفاء » ، ولو طالت إقامتى بالبصرة لاستطعت تسجيل ما به من خصائص تمثل ما عند أهل الجنوب من شمائل بيض ، فأهل البصرة بشهادة جميع أهل العراق يمتازون باللطف والوداعة والكرم والجود ، وقد سمعت عن السيد الشمخانى أحاديث تذكر بأخبار معن بن زائدة الشيبانى ، وآخر ما سمعت هو ما قرأت فى جريدة الأستاذ عبود الكرخى عن أخبار السيد الشمخانى فى مواسم الصيد

نادى الجزيرة

هو منتدى أهل الفضل بالموصل ، ومعتمد هذا النادى هو تلميذى القديم الأستاذ جيلران[٦] ، وهذا النادى يقع على شط دجلة وفى رحاب حديقة جميلة هى معترك العواطف بالموصل ، وله تأثير شديد فى وصل الأواصر الأدبية بين الأمم العربية

الرابطة العلمية

هى أعظم جمعية أدبية بالنجف « الأشرف » ، وإنما وصف النجف بالأشرف منافسةً للأزهر « الشريف » . ففى النجف معهد دينى يسير على أسلوب الأزهر فى أكثر الشئون ، وإن لم يستطع مسايرة الأزهر فى الانطباع بطابع الزمان

والرابطة العلمية والأدبية بالنجف لها لون خاص ، فأدباؤها فى حكم المنعزلين عن أدباء الموصل والبصرة وبغداد ، ولهم فى إنشاد الشعر طريقة لا يعرفها من سكان العراق غير النجفيين ، وهى طريقة تقوم على قواعد الترنيم ، وعلى مثلها كان الشيخ سيد المرصفى ينشد الشعر فى دروسه بالأزهر الشريف

نادى القلم العراقى

هو تاج الأندية العراقية ، أسس منذ سبع سنين أسوةً بأندية القلم فى كثير من أقطار العالم القديم والعالم الجديد ، واختير الشاعر جميل صدقى الزهاوى رئيساً ، والدكتور محمد فاضل الجمالى نائب رئيس ، والدكتور متى عقراوى أميناً للصندوق ، والأستاذ إبراهيم حلمى العمر كاتم أسرار

والرئيس اليوم هو معالى الشيخ محمد رضا الشبيبى ، ونائب الرئيس هو الدكتور محمد فاضل الجمالى ، وأعضاؤه يزيدون على

(٤) فى كتاب (وحى الرسالة) وصف لهذا النادى وحديقته جاء فيه : « والسكون مرهوب الجلال أنيس الوحشة يسمق ثم يسمق حتى تكاد تسمع النبات وهو ينبت »

(٥) أسوان مضرب المثل فى البعد ؛ وأهل مصر يقولون : أبعد من الشلال !

(٦) « جيلران » كلمة كردية ، عربت معناها ثم نسيته ، فما اسمك بالعربية ، يا سيد جيلران ؟

الثلاثين ، وهم يُختارون من بين الرجال الموسومين بالمواهب العلمية والأدبية

ليس لهذا النادي دار ، وإنما يجتمع الأعضاء من وقت إلى وقت في منازل يتوافَوْن إليها على ميعاد ، فهم اليوم في منزل الأستاذ عباس العزّاوي ، وهم غداً في منزل الأستاذ جعفر خياط ، وهم بعد غد في منزل الأستاذ باقر الشبيبي ... الخ . وعلى من يجتمعون في داره أن يقدم إليهم الشاي أو المرطبات ، إن اجتمعوا في العصرية ، فإن اجتمعوا في المساء كان من واجبه أن يتلطف بتقديم العَشاء الخفيف . ولا يجتمعون في المساء إلا إن كانت دار الداعي في مكان بعيد

وفي كل اجتماع يُلقي أحد الأعضاء محاضرة علمية أو أدبية أو اجتماعية(٧) . ثم يدور النِّقاش بعد استئذان الرئيس ، وقد يصل النقاش إلى درجات من العنف لا يخففها إلا ضحكات الدكتور الجلالي وفكاهات الأستاذ أبي إيناس

وأعضاء هذا النادي في غاية من الحيوية ، وهم يرسلون من يمثّلهم في المؤتمرات التي يقيمها نادي القلم العالمي . وقد أصدروا أخيراً مجموعة نفيسة ضمّنوها طوائف من المحاضرات التي أُلقيت في اجتماعاتهم الدورية ، وتقع هذه المجموعة في أكثر من ثلثمائة صفحة بالقطع المتوسط ، وبها رسوم لجميع من حوى هذا السِّفر أبحاثهم الجياد

نجد في صدر المجموعة مقالاً علمياً عن المجريطي إمام فلاسفة الأندلس في الرياضيات والطبيعيات ، وهو مقال مفصّل دبجه الأستاذ محمد رضا الشبيبي . ولهذا الأستاذ الجليل بحث آخر في هذه المجموعة سماه (قصة فتح بغداد) ، وهو يصوّر ما كان عليه المغول من القوة الحربية والسياسية يوم استطاعوا اجتياح العراق ؛ ويمكن بسهولة أن نعدّ هذا البحث من فلسفة التاريخ

وهنالك بحث شائق للأستاذ أحمد حامد الصراف عن (النُّحلة) وهي الفِرقة التي تعبد عَليّاً وتراه خالق الكون وسر الوجود

ولنا ملاحظات على هذا البحث يضيق عنها هذا الحديث ، وقد نرجع إليها بعد حين

وفي هذه المجموعة خلاصة وافية لأعمال المؤتمر الرابع عشر لأندية القلم وقد عُقِد في بونيس إيرس بالأرجنتين (٥ — ١٥ أيلول سنة ١٩٣٦) ، وهذه الخلاصة هي تقرير قدّمه الأستاذ مجيد خدوري مندوب نادي القلم العراقي ، وفي هذا التقرير إشارات إلى شئون أدبية وفلسفية تستحق الالتفات

ويهمني أن أوصي قراء الرسالة باقتناء هذا السِّفر النفيس ، فهو عُصارة جهود محمودة في خدمة العلوم والآداب ، وهو يصوّر جوانب من النشاط العلمي والأدبي في بغداد

ثم ماذا ؟ ثم أُجمِل الغرض من هذا الحديث فأقول :

إن الآثار المدوّنة في الجرائد والمجلات والمطبوعات لا تمثّل أعمال الأندية العراقية كل التمثيل ، ففي تلك الأندية تدور مطارحات ومساجلات تفوق المدّ والإحصاء ، وفيها تُدرَس أعمال الأدباء الذين يصل صرير أقلامهم إلى العراق . ولأدباء الرافدَين موازين في النقد الأدبي لا تخلو من تحرّي الدقة والعدل ، وهم يعرفون من أخبارنا الأدبية كل شيء ، ولا تغيب عنهم مراميتنا إلا في النادر من الأحيان ، كأن يصدّقوا أقوال المصريين بعضهم في بعض ، وما دَرَوا أن تهاجي الصحف المصرية بابٌ من الرياضة على إجادة التعبير في مختلف الأغراض

والظاهر أني مضطرٌّ إلى تذكير أدباء مصر بأنهم لا يكتبون لأنفسهم ، وإنما يكتبون لأقطار كثيرة ، وتلك الأقطار قد يغيب عنها مَرامي المصريين بالنكتة والمزاح ، فما نرسله على سبيل الفكاهة قد يُظَنّ من الحقائق ، ثم يؤوّل أسوأ التأويل

أما بعد فهل يرى القراء أني دللتهم على مظاهر الحيوية الأدبية في أرجاء العراق ؟

إنني أوجزت القول عن الأندية الأدبية لأدّخر الفُرص للحديث عن رجال الصحافة وقادة الفكر في تلك البلاد ، فما أحوال الصحافة العراقية ؟

سأري ويرى معي القراء كيف تجول الأقلام وتصول في وطن دجلة والفرات ، على شرط أن يُرفَع الحجاب بيني وبين زملائي هناك ، فلا يقال إنني أخرج على آداب الصداقة والأخوة حين أنتقل من الحمد إلى الملام . وهل أذكر أهل العراق بالسوء إلا مصانعةً للكاشحين والحاقدين ؟

كلانا مُظهِرٌ للناس بُغضاً وكلٌّ عند صاحبه مكينُ
تخبّرنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثَمّ هوًى دفين

زكي مبارك
عضو نادي القلم العراقي

(٧) المحاضرة هي المحاضرة في تنيير أهل تونس . وأختار أن يكون البحث محاضرة والتعقيب عليه مساجلة